ERJ
Engineering Research Journal
Faculty of Engineering
Minoufiya University

الحمامات الشعبية و تطورها في المجتمعات العربية

د/ هشام محمد محمد حسين
مدرس – قسم العمارة – كلية الفنون الجميلة
جامعة المنيا

د/ أحمد يحيى إسماعيل
مدرس – قسم العمارة – كلية الفنون الجميلة
جامعة حلوان

الملخص:
اتخذت الحمامات العامة (الحمامات الشعبية) مكانة متميزة في مختلف الحضارات ، غير أن كل حضارة كانت تضع تعديلات في تصميم هذه الحمامات بما يتناسب مع ظروفها و عاداتها ومعتقداتها كما كانت تختلف في المقياس من حضارة إلي أخري – ففي الحضارة الرومانية مثلا كانت تصل إلي مقياس مدن كاملة و في الحضارة الإسلامية كانت متداخلة في النسيج العمراني للمدينة بل و كانت تنتشر بالأحياء السكنية – إلي أن وصل تطوير هذه الحمامات إلي الشكل الحديث الذي هي عليه الآن في هيئة منتجعات استشفائية أو مراكز استشفائية .
كما شغلت الحمامات العامة مساحة كبيرة في الجانب الثقافي للعديد من المجتمعات بل انها تعتبر جزء لا يتجزأ من ثقافة هذه المجتمعات فهي تعتبر الملجأ و الملاذ للحصول علي الراحة و النظافة و الاستجمام و الخلاص من ضغوط الحياة وذلك علي كافة مستويات هذه المجتمعات دون تفرقه ، كما يعد الدور الصحي للحمامات العامة من اهم ادواره الفعالة في المجتمعات فهو يعيد للبشرة تألقها ولمعانها الطبيعي ويجعلها أكثر شبابا لمدة أطول كما يساعد في تخفيف بعض الحالات المرضية بدءا من الكآبة وحتى التهاب المفاصل و يخلص الجسم من العديد من السموم والمواد الضارة به .
و يعد تدهور حال الحمامات العامة في العديد من الأقطار العربية نتيجة تغيير وجهة نظرة المجتمع تجاه تلك المشروعات ، وارتبطت أفكار المجتمع بكونها مكان لتفشي الأمراض أو مخالفة الآداب العامة ، وهو ما يجب تصحيحه و تغيره من أذهان المجتمع حتى تستعيد هذه المشروعات مكانتها و تقوم بدورها.
الا أن احتفاظ بعض المجتمعات العربية كالمجتمع التونسي بموروثة الحضاري و الثقافي و العمل علي تنميته كان هو السبب الرئيسي وراء محافظة مشروعات الحمامات العامة - بكافة أشكالها – علي مكانتها (حيث تأصلت عادة الاستحمام ضمن عادات التونسي منذ القدم) و ارتبط أفراد المجتمع بزيارة تلك الحمامات و ارتيادها بشكل منتظم وأصبحت جزءا لا يتجزأ من ثقافة المجتمع و تقاليده بغض النظر عن المستوي الاجتماعي أو الثقافي أو المادي لأفراده – سواء كبار أم صغار – و ذلك بالرغم من تعاقب العديد من الحضارات المختلفة علي المجتمع التونسي .
كما ان الحمامات العامة بالجزائر تختلف عن تلك الموجودة بمصر حيث أن الحمامات الجزائرية تتميز ببرامج معمارية مختلفة، حيث أن الحمام بالجزائر يشمل عناصر خاصة بإقامة النزلاء ، إلي جانب احتواء هذه الحمامات علي قاعات اجتماعية و مكتبات و مطاعم و ملاعب و أماكن للتنزه ، وهذا التطور الملحوظ في البرامج المعمارية لتلك الحمامات كان الدافع إلي إقبال الجمهور و الزائرين من المرضي و ذويهم و الأصحاء القادمين للاستمتاع والاسترخاء و الناقهين ، حيث أن الحمامات تغطي شريحة كبيرة و تلبي العديد من الاحتياجات المختلفة لزائريها .
لذا يجب العمل علي الاستفادة من التجارب العالمية في تنمية الحمامات العامة و خاصة الدول العربية (تونس – الجزائر – المغرب) حيث انها اقرب في الظروف و المحددات الي مصر .

الكلمات الدالة: الحمامات العامة - الحمامات الشعبية - حمامات حلوان - الحمامات الرومانية

Abstract:

Public bathhouses have taken a privileged position in the different civilizations, but each civilization has set modifications in the design of those baths to adapt with its circumstances, its customs and its beliefs as well as they have been differed in the scale from a civilization to another_ In the Roman civilization, for example, they have reached the scale of a whole city where in the Islamic civilization they were within the urban fabric of the city and even were spread wide the residential communities _ until the development of those baths has reached the contemporary recent shape in the form of healing centers or resorts.

The Public bathhouses have also occupied a large concern in the cultural aspect of many societies, moreover, they were considered as integral parts of the cultures of these societies, they were considered the refuse and the haven for comfort, cleansing, recreation and salvation from life stress wide the whole classes of these societies without exception. The hygienic role of the public bathhouses is also considered one of its most effective roles in societies it recovers the natural vitality of the complexion and makes it more youthful for longer time and helps in alleviating

© Faculty of Engineering, Minoufiya University, Egypt

some cases of diseases ranging from depression to rheumatoid and extracts many toxicogenic and harmful matter elements.

The deterioration of the public bathhouses in many of the Arab countries is due to the change of the societies' views towards these projects where they have been thought of to be considered as d disease causing or public morality violating places, that must be changed in the societies' citizens minds so that these projects may regain their important priorities and realize their roles.

But the continuation of preserving some Arabian societies – as the society of Tunisia_ Their civilization and culture heritage and continuing developing it was the main reason for the preservation of the public bathhouses projects- in all their types-for their ranking positions where the custom of public bathing has been inhered among the Tunisian the rough the times and the society' citizens have use to visit those public bathhouses periodically which have been integrals of the culture of the society and its traditions irrespective of the social and and the cultural and the income levels of its citizens-elders or juveniles- in despite of the sequency of several different civilizations on the Tunisian society.

Also, the public bathhouses in Algeria differ to those in Egypt where the public bathhouses in Algeria are featured with different architectural programmes where the Algerian public bathhouses includes spaces for the accommodation of guests besides community meeting rooms, libraries, restaurants, playgrounds and parks.

This clear development in the architectural programmes for those public bathhouses was the motive for the visit of the public, the visitors of the ill citizens and their relatives, the normal citizens seeking enjoyment and relaxation and recovery visitors, where the bathhouses cover a large category and realize many of the visitors' different needs. Therefore, it should get use of the international experimentation in the development of public bathhouses, particularly, in the Arab countries (Tunisia, Algeria and Morocco) where they are more antilogous to the circumstances and the determinants in Egypt.

Key words: *Bathhouses – Public bathhouses – Helwan springs – Roman bathhouses*

مقدمة:

منذ اقدم الحقب التاريخية كان انتقال الانسان من مكان إلى مكان آخر بحثا عن ظروف بيئية و جغرافية تتناسب مع طبيعته إلى جانب وجود موارد طبيعية من مياه طبيعية و مناطق خضراء و غيرها من مقومات الحياة ويبتعد عن المناطق ذات المشكلات البيئية من تقلبات جوية أو مناطق بها أعاصير أو مناطق شديدة الحرارة أو شديد البرودة و كان ذلك بهدف الحفاظ علي صحته الجسدية و الفكرية ليواصل مسيرته في الحياة (١) .

لذلك نجد أن الحضارات الأولى قد نشأت و قامت في المناطق التي تتمتع بالمقومات الطبيعية المناسبة لحياة الإنسان من حيث تواجد مصادر الحياة الطبيعية من مياه و ارض صالحة للزراعة ، أو المناطق معتدلة المناخ كحوض النيل و الهند و جنوب الصين و بلاد ما بين النهرين . وبعد أن استقر الإنسان في هذه المدن كان القادر منهم يقوم بالانتقال إلى المناطق ذات الأجواء الأنسب و الأكثر اعتدالا في المناخ طلبا للراحة والاستجمام

فانتقل إلى سواحل البحر و البلاد الجبلية صيفا و إلى المناطق الدافئة شتاءا ، و بالتدريج و الخبرة وجد أن هذا الانتقال لتلك المناطق يشفي من بعض الأمراض فأوصي الحكماء مرضاهم بهذا الأسلوب ووصفوه لهم و كان من أهم الأمراض التي كانت تشفي بهذا الأسلوب من العلاج الأمراض الروماتيزمية و الصدرية و النقاهة العامة .

ثم تطور فكر الانسان بعد ذلك الي بناء منشأت خاصة بالعلاج والاستشفاء واستعادة النشاط والحيوية من خلال الاستفادة من القيمة الطبيعية في تنشيط جسمه و الخلاص من العديد من الامراض ، و ظهرت تلك المنشأت في العديد من الحضارات المختلفة و كان من ابرزها و اكثرها انتشارات الحمامات العامة (الحمامات الشعبية) و التي كان لها تأثير واضح في الحياة الاجتماعية و الثقافية والاقتصادية و الصحية لشعوب تلك الحضارات ، كما كانت الحمامات العامة تقوم بدور متشابه تقريبا في تلك المجتمعات ، مع اختلاف تأثير ثقافات شعوب تلك الحضارات علي تصميم الحمامات و اجراء تعديلات في بعض الاحيان علي تصميمها دون البعد كثيرا عن الجوهر الاساسي للتصميم المعماري لها و ذلك من اجل تأدية الدور الوظيفي الهام لتلك المنشأت .

المشكلة البحثية :

تتمثل المشكلة البحثية في تقلص دور الحمام الشعبي في العديد من المجتمعات العربية – ذلك الدور الفعال و المؤثر اجتماعيا و اقتصاديا و ثقافيا و صحيا في وقت من الاوقات السابقة – اضافة الي سوء حال تلك الحمامات كمنشأت و تدهورها الي حد الانهيار و الازالة في بعض المناطق ، و اصبح العامل منها في حال متردي و يحتاج الي ترميم و صيانة و اعادة تأهيل ، اضافة الي غياب المفهوم الصحي لتلك المنشأت و تحوله الي نوع من انواع الدعوة الي الرجعية و الخروج عن الاداب العامة في بعض الاقطار و المجتمعات العربية ،

نتيجة غياب الرقابة علي هذه المنشأت ، وذلك بالرغم من حفاظ بعض المجتمعات العربية الاخري علي هذا الموروث الحضاري و الثقافي بل وتنميته و تطويره في صورة منشأت حديثة يتم استخدام احدث التقنيات و الاجهزة في اطارها .

لذا كان من الضروري التعرض الي حال هذه المنشأت التوراثية بالدراسة و التحليل لاسباب التدهور و الاندثار وغياب المفهوم الصحيح لها كمنشأت اجتماعية صحية و محاولة اعادتها الي الخريطة الاجتماعية و الثقافية للمجتمعات العربية .

١ – الخلفية التاريخية للحمامات الشعبية :-

انتشر استخدام الينابيع الطبيعية في خلال الإمبراطورية الرومانية بشكل كبير ، فاستغلت اغلب ينابيع المياه في أنحاء أوروبا ، وتفنن الرومان في بناء الحمامات و ألحقت بها المسارح و وسائل الترفيه المختلفة فازدهرت الحمامات ازدهارا لا مثيل له .

فقد بلغ عدد الحمامات العامة في روما في عصر أغسطس ٣٠٠ق.م ١٧٠ حماما و وصل هذا الرقم الي ٩٠٠ حماما في اوج ازدهار الامبراطورية الرومانية (٢) .

كما كانت هذه الحمامات مصدر استمتاع للأباطرة الرومان و علية القوم حيث كان كثير من الحكام و الملوك والنبلاء يستمتعون بالعلاج

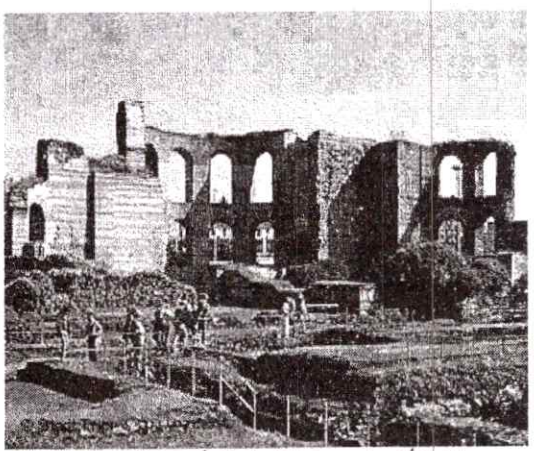

في مصحات " أخن " وعيونها الساخنة بألمانيا (٣).

(شكل-١) حمامات بارارة (Barbarathermen) "حمامات القصر" وهي أيضا حمامات معدنية معروفة بمدينة تريز وتتميز هذه الحمامات بطرازها المعماري الفريد الذي تجتمع فيه الزخرفة والهندسة الرومانيين و تتميز بمياهها المعدنية ذات درجة الحرارة المميزة . المصدر : مدينة تريز أقدم المدن الألمانية

http://www.dworld.de/dw/article/0,,1654501,00.html

هدف البحث:

يهدف البحث الى رصد و تحليل الدور الكبير الذي لعبته الحمامات العامة(الحمامات الشعبية) في المجتمعات العربية اجتماعيا و ثقافيا و اقتصاديا و صحيا ، مع استعراض الخلفية التاريخية لتلك المنشات العامة ، و دخولها الي المجتمعات العربية ، و كيف ان بعض هذه المنشأت قد اخذ طريقة الي التطور و التنمية في بعض الاقطار العربية ، بينما تدهور في بعض المجتمعات الاخري بل انه اندثر تقريبا و تهدم العديد من منشأته و الباقي منها في حال سئ ، لذا كان من اهداف البحث الوقوف علي اسباب الازدهار و التدهور التي تعرضت لها الحمامات الشعبية في مختلف المجتمعات و سبل تنميتها و الحفاظ عليها و تطويرها .

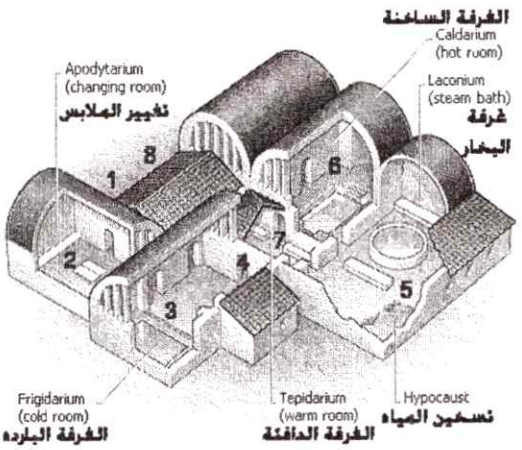

(شكل-٢) شرح مبسط لمكونات و مراحل الحمام الروماني . حيث يعبر التسلسل الرقمي عن مراحل الحمام المختلفة . المصدر :

http://uk.encarta.msn.com/media_121646507_761577185_-1_1/Plan_of_Roman_Baths.html

و كانت حمامات كراكلا (نسبة إلى الإمبراطور الروماني كراكلا) في مدينة روما من اشهر الحمامات في أوروبا وكانت تتميز بمياهها الشافية التي يذكر أن الإمبراطور كراكلا قد استفاد بها قبل ٢٠٠٠عام تقريبا(١) .

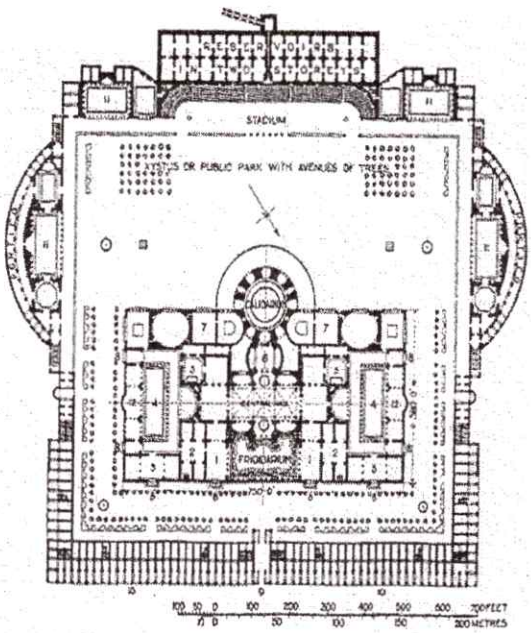

١- غرف الدفع	٧- جناح الحمامات الساخنة
٢- السلام و الخدمات	٨- مداخل
٣- بهو الاستقبال	٩- المدخل الرئيسي
٤- رواق الاعمدة المفتوح	١٠- محلات تجارية
٥- حمامات البخار	١١- المكتبة
٦- الحمامات الدافئة	١٢- صالة اللياقة البدنية

(شكل-٣) المسقط الأفقي لحمام كركلا بروما (إيطاليا) . المصدر :

Dan Cruickshank , SIR BANISTER FLETCHERS A HISTORY OF ARCHITECTURE 1996

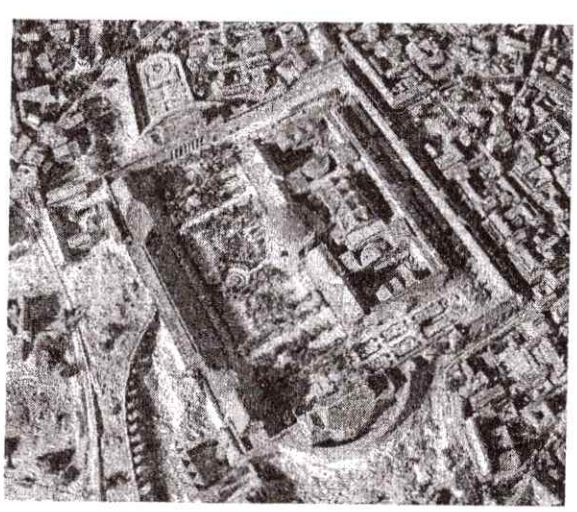

(شكل-٤) مجسم تخيلي لحمام كركلا بشكل متكامل . المصدر : الانترنت : http://www.vroma.org/~bmcmanus/baths.html

و نقل العرب استخدام الحمامات عن الحمامات الرومانية و البيزنطية التي انتشرت في سوريا و مصر و ليبيا وتونس و الجزائر و المغرب- قبل الفتح الإسلامي و الحمامات الساسانية في إيران ، فكانت هناك نماذج عديدة - شبه مكتملة تماما - في هذه البلاد تدل علي مدي أهمية هذه الحمامات في الحضارة الرومانية و الإغريقية حين كانت هذه البلاد تحت مظلة الإمبراطورية الرومانية . كما قام العرب بإجراء تعديلات علي هذه الحمامات الرومانية نظرا لتعاليم العقيدة الإسلامية (من حيث الحرص علي الخصوصية و عدم التعري جهرا إلي غير ذلك من التعاليم) التي كان لها تأثير مباشر علي تصميم الحمام العام حيث تم الاستغناء عن أحواض المياه الكبيرة التي كانت موجودة في الحمامات الرومانية (٤) .

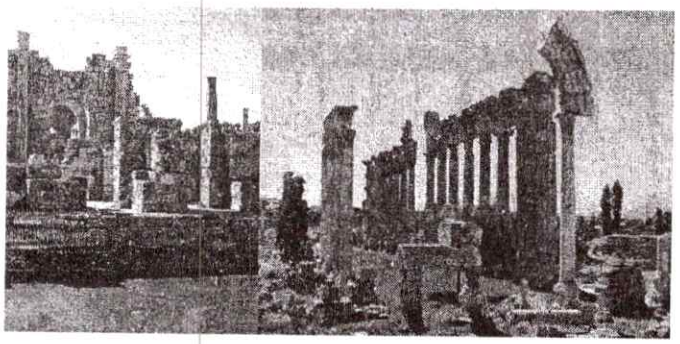

(شكل-٥) عن اليمين : وحمامات رومانية تعدّ الأكبر في الشرق الأوسط. بمدينة الشمس ببعلبك بلبنان.

عن اليسار: حمامات هادريان الرومانية بمدينة لبدة بالقرب من طلابلس ليبيا .

المصدر : اليمني : مدينة الشمس http://www.al-akhbar.com/ar/taxonomy/term/11,13992.

سحر المدن الرومانيه في اليسري : ليبياhttp://m3mare.com/vb/showthread.php?t=1499

ومن الناحية المعمارية فتمثل الحمامات العامة الموجودة في دمشق النموذج الكلاسيكي للحمامات الموجود في المنطقة ، فالحمام من الخارج مغلق تماما إلا من باب صغير للدخول ، لمنع تسرب الحرارة و البخار. وكمثال نجد انه في حما م بشتاك بالقاهرة تخلو الواجهة من الفتحات فيما عدا باب الدخول .

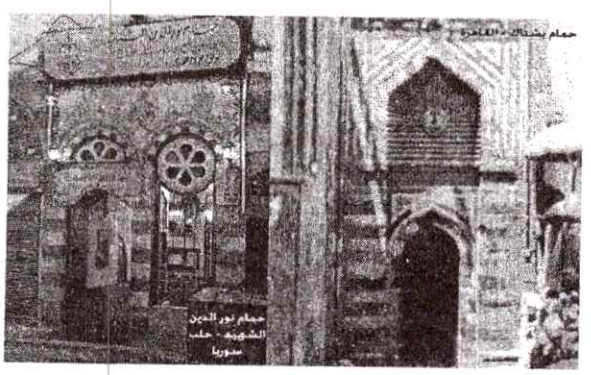

(شكل-٦) واجهة كلا من حمام بشتاك و حمام الشهيد بسوريا . المصدر : حمام بشتاك عن الباحث – حمام الشهيد . الانترنت : http://travel.maktoob.com/vb/

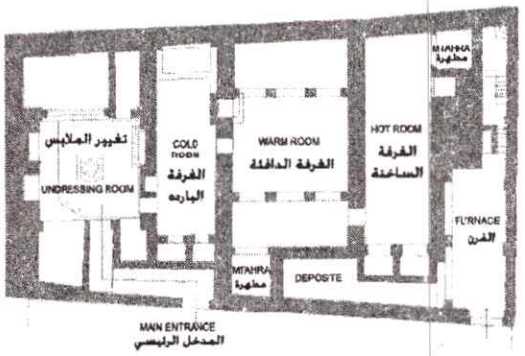

(شكل-٧) المسقط الافقي لحمام المكافي بمدينة فاس المغربية و يظهر خلو المبني من أي فتحات علي الشارع فيما عدا باب الدخول الرئيسي و باب الفرن . المصدر

Kamal Raftani and Hassan Radoine - THE ARCHITECTURE OF THE HAMMĀMS OF FEZ, MOROCCO - International Journal of Architectural Research - SPECIAL ISSUE ON TRADITIONAL PUBLIC BATHS-HAMMĀMS-IN THE MEDITERRANEAN – Volume (2) - Issue (3) - November 2008

و تعتبر الحمامات من الأجزاء الهامة في بعض القصور العربية (كما في قصير عمرا بالأردن وغيره من القصور التي بناها الخلفاء الأمويين في بادية الشام ، حيث كانوا يلجئون إليها حين تنتشر الأمراض بالمدن) (٥)، ومن أشهر الحمامات التي بناها الخلفاء الأمويين في ذلك العصر (حمام الصرخ بشرق الأردن عام ٧٢٥-٧٣٠ م). كما يعتبر حمام البارزي Al-Burizya من أقدم الحمامات التي أنشئت بعد الفتح الإسلامي في سوريا في القرن ١٢و١٣ الميلادي وذلك في العصر الأموي و الأيوبي.

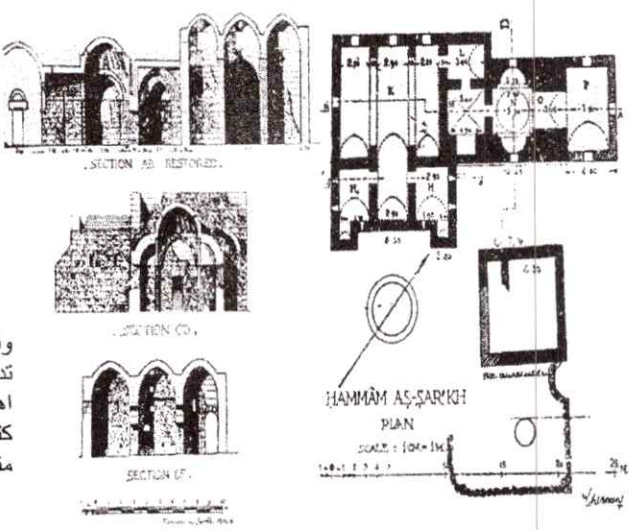

(شكل-٨) المسقط الأفقي و قطاعات لحمام الصرخ . بشرق الأردن عام ٧٢٥-٧٣٠ م المصدر: كمال الدين سامح – العمارة في صدر الإسلام ١٩٨٧م

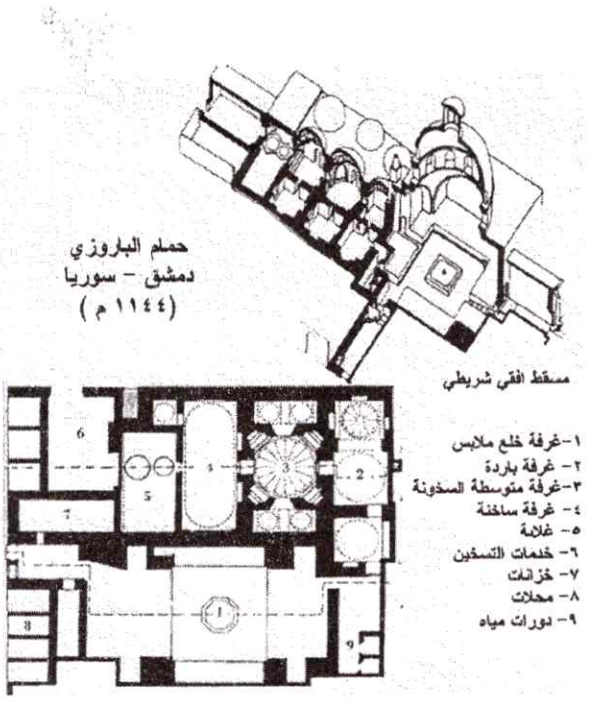

(شكل-٩) مسقط أفقي و ايزومتري إيضاحي للمسقط لحمام البارزي بدمشق بسوريا . المصدر :احمد مصطفي عنان – الحمامات الشعبية في المدينة العربية- مجلة عالم البناء عدد ٤٩ سبتمبر ١٩٨٤م .

(شكل-١٠) حما م الاجاض بتركيا(اسطنبول) . المصدر : منتجع قديم للمياه المعدنية

http://www.discoverislamicart.org

وفي العصر العثماني ، كانت الحمامات المبنية قرب الينابيع الدافئة تدعى منتجعات المياه المعدنية. ويعتبر فندق الأجاص القديم واحدا من اهم هذه المباني بتركيا.. وتمَّ بناؤها بأمر من السلطان بايزيد الثاني و كتب المؤرخ ج. فون هامر- بوركستول أن مياه المنتجع القديم كانت مفيدة لأمراض الجلد(٦).

و في القرن السادس عشر ظهرت حركة بطيئة في السياحة، وكان سببها في البداية هو البحث عن الصحة (السياحة الاستشفائية) من جانب الأشخاص ذوي الأمراض و العلل مثل :- مرض النقرس

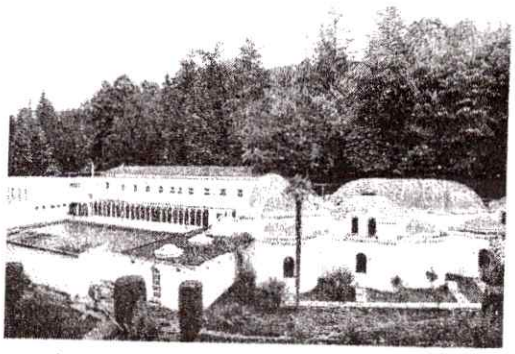

(شكل-١١) حمامات قورشلي العثمانية ، ويعود تاريخ بناء الحمامات إلى العام ١٨٩٣م من قبل الجمعية الطبية العثمانية .
المصدر :
http://travel.maktoob.com/vb/post2059805-2/

الروماتيزم و آلام الصدر و كان هؤلاء المرضي علي اعتقاد كامل في إمكانية الاستفادة من ينابيع المياه المعدنية الساخنة سواء عن طريق الشرب أو الغطس و الاستحمام بها(٧)، كما عرفت في ذلك العصر بإنجلترا الينابيع المعدنية كوسيلة للاسترخاء و الرفاهية و استقطبت المنتجعات الطبقات الراقية من المجتمع لما توفره من الرفاهية و الاسترخاء وأقيمت بإنجلترا أول مصحة علاجية في مدينة باث(Bath) (٨)، و تطور شكل و تصميم الحمامات الشعبية منذ ذلك الحين الي مظهر المراكز و المصحات العلاجية الاستشفائية .

٢ - الحمامات الشعبية في مصر :-

دخل استخدام الحمامات إلى مصر في خلال حكم الإغريق لها وبعدها توسع الرومان في إنشاءها و نشرها في أنحاء مصر ولم تقتصر علي الإسكندرية فقط (حيث أنها كانت عاصمة الإمبراطورية الرومانية في مصر) ، حيث كشفت بعثة المجلس الاعلي للآثار بمنطقة قطور بمحافظة الغربية عن منتجع علاجي يعود إلى العصر

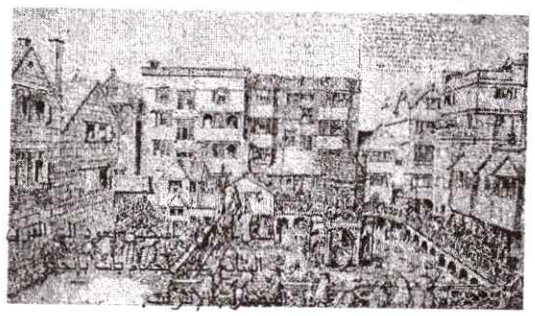

(شكل-١٢) مسقط أفقي عام لمنطقة حمام باث بإنجلترا القرن السابع عشر الميلادي .

الروماني ، وتعددت أنواع الحمامات فأصبح منها العام و الخاص و حمامات الجنود و حمامات للطبقة الحاكمة (غير حمامات عامة الشعب) ، و حمامات للنساء ، وألحقت بها أنشطة مثل الجمنيزيوم و غيره ، مثل حمام "تابوزيوس ماجنا" بابي صير بالصحراء الغربية و قد ظهرت به صالات للبخار(٩).

ونقل المسلمون الحمام كموروث عن الحضارات السابقة ، فانشأ أول حمام بمدينة الفسطاط و ذلك بعد الفتح الإسلامي لمصر عام ٢٨ هجرية بأمر من القائد عمرو بن العاص و كان يسمي "حمام الفأر" (١٠) . وقد عرف المسلمون حلوان بمياهها الاستشفائية، حيث ذكر أحد المؤرخين العرب أن عبد العزيز بن مروان الذي حكم مصر سنة ٦٧٦ هجرية قد عولج من مرض شلل الأطفال بها(١١). وانتشر بناء الحمامات خلال فترة حكم العرب لمصر حتى بلغ عددها ١١٧٠ حماما في عهد المعز لدين الله الفاطمي عام ٦٧٥ هجرية (١٢). كما لم يقتصر بناء هذه الحمامات علي القاهرة فقط بل انتشر في العديد من المناطق الأخرى مثل الإسكندرية و المنيا و دمياط و رشيد وغيرها من المدن في كافة أنحاء مصر.

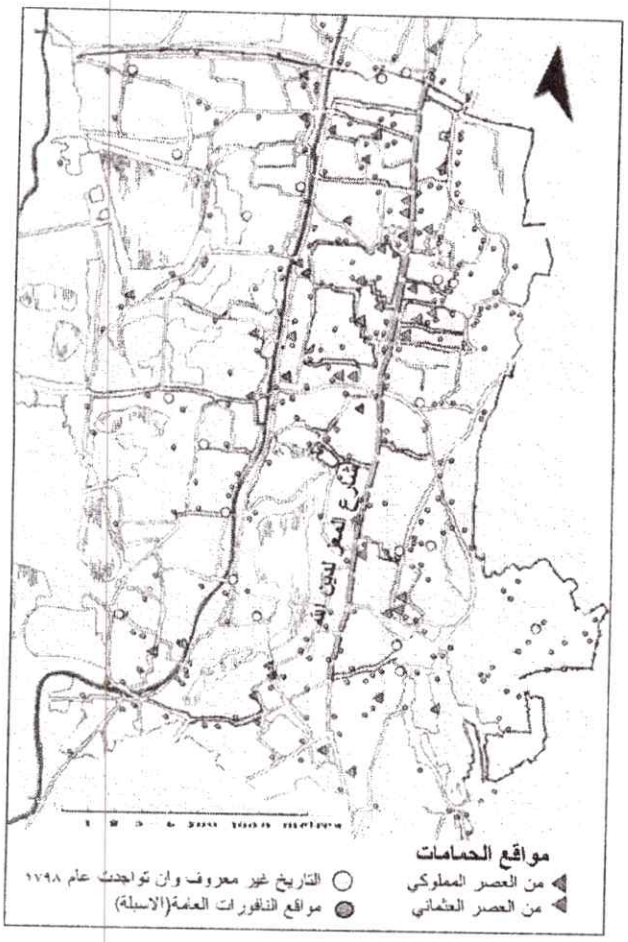

(شكل-١٤) مواقع الحمامات في القاهرة عبر عصور مختلفة .
المصدر : أولج جرابار- " معني التاريخ في مدينة القاهرة " – (تحديات التوسع العمراني – حالة القاهرة) وقائع الندوة التاسعة من ندوات عن التحولات المعمارية في العالم الإسلامي – القاهرة – مصر ١١-١٥ نوفمبر ١٩٨٤.

وكان الحمام جزء من السوق حيث يسهل التعرف عليه من مدخنته العالية أو من القباب المزججة الضحلة التي تغطيه هذا بالإضافة إلى سقفه المقبب .

(شكل-١٥) سقف حمام درغيت الشعبي بطرابلس بليبيا و يظهر تغطية الفراغات بالقباب و المدخنة العالية للفرن

Magda Sibley and Fodil - THE SURVIVING HISTORIC HAMMĀMS OF THE MEDINA OF TRIPOLI - LIBYA: TANGIBLE AND INTANGIBLE DIMENSIONS-- - International Journal of Architectural Research - SPECIAL ISSUE ON TRADITIONAL PUBLIC BATHS-HAMMĀMS-IN THE MEDITERRANEAN –

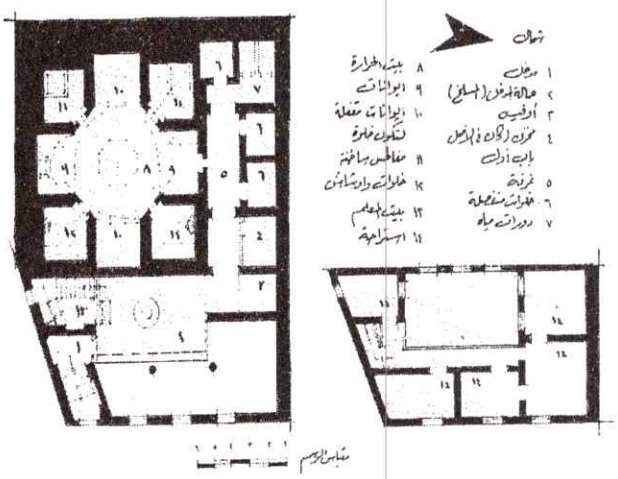

(شكل-١٦) المساقط الأفقية لحمام الشيخ بالمنشية – مدينة الإسكندرية .
المصدر : عاطف فهيم – الحمامات الشعبية في مصر – ١٩٧٥م.

كما بدأت السياحة الاستشفائية في مصر تأخذ مكانتها في العصر الحديث في القرن الثامن عشر مع استغلال كلا من مدينتي حلوان و أسوان سياحيا في أغراض الاستشفاء البيني نظرا لمواردهما الطبيعية ، حيث وضعت أول خريطة للعيون الكبريتية في حلوان أثناء حكم محمد علي الكبير عام ١٨٠٥ م(١١). وهو الأمر الذي دفع الخديوي عباس إلى إقامة حمامات حلوان الكبريتية حيث أمر عام ١٨٥٠م بإنشاء مبني صغير مكون من غرفتين تخصصان لاستخدام الجنود المصريين الذين يعانون من الأمراض الجلدية(١٣) .

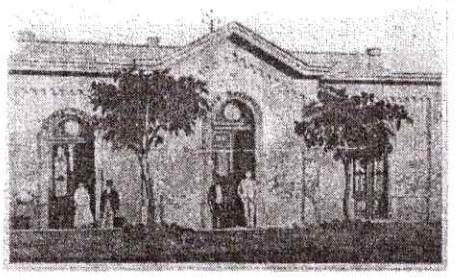

Helwan. 1888. "The first Establishment for Subminerous Baths"
"Primo stabilimento dei Bagni Sulfurei"
حلوان : ١٨٨٨ ، أول حمامات المياه الكبريتية

(شكل-١٧) حمامات حلوان الكبريتية عام ١٨٨٨م.

المصدر : http://travel.maktoob.com/vb/travel136256-2/

وفي عهد الخديوي إسماعيل (١٨٦٨م) كلفت وزارة الأشغال في وقتها ببناء حمام في موقع الينابيع الكبريتية ، وفي خلال حفر الأساسات تم الكشف عن نبع آخر من المياه الكبريتية . وتم استكمال البناء في عهد الخديوي عباس حلمي الثاني عام ١٨٩٦م و افتتحها الخديوي رسميا في عام ١٨٩٩م ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح حمام حلوان الكبريتي للطب الطبيعي والروماتيزم. كما تم إجراء تجديد و تطوير في مبني الحمامات عام ١٩٥٥م في إطار خطة لتنمية مدينة حلوان (١٤) .

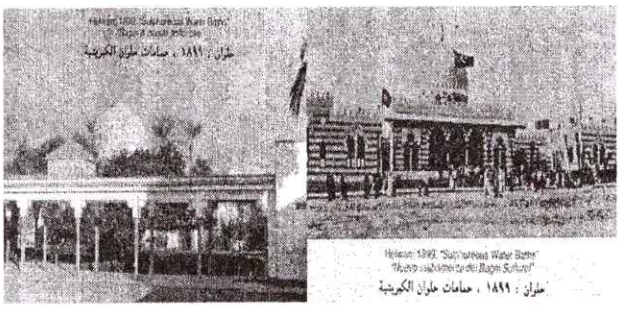

Helwan 1899. "Sulphureous Water Baths"
"Bagni solfurei acque"
حلوان : ١٨٩٩ ، حمامات حلوان الكبريتية

(شكل-١٨) صور تاريخية لحمامات حلوان الكبريتية عام ١٨٩٩م . **المصدر :** http://travel.maktoob.com/vb/travel136256-2/

غير أن ذلك الازدهار لم يستمر طويلا حيث بدأ توطين العديد من الصناعات الثقيلة في منطقة حلوان و المناطق المحيطة بها في أواخر الستينيات (١٥) ، مثل صناعة الحديد و الصلب و الأسمنت و غيرها من الصناعات التي أدت إلى التحول التدريجي لوظيفة المدينة من مدينة صغيرة هادئة للسياحة الاستشفائية إلى قلعة للصناعات الثقيلة ، إضافة إلى تحويل منطقة حلوان إلى أكثر المناطق الملوثة في مصر بعد أن كانت مقصدا لمن يريد الاستجمام.

٢-١ التدهور في الحمامات الشعبية في مصرو سبل الارتقاء بها :-

علي الرغم من الفوائد العديد للحمامات الشعبية إضافة إلى الدور الكبير الذي تلعبه سواء من الناحية الاقتصادية والاجتماعية و الصحية ، إلا أنها لم تلقي في مصر الاهتمام اللازم من حيث الحفاظ عليها ، فمدينة القاهرة (كما ذكرنا) كان يوجد بها ما يزيد عن ألف حمام في يوم ما .. بينما في دراسة اجريت عام ١٩٨٤م وجد انه لا يوجد اكثر من ٢٠ حماما (١٦) ، اغلبها في حالة سيئة و متهدمة وبعض منها في حالة تكاد تقترب من الانهيار، و ذلك بالرغم من احتوائها علي كميات رائعة من الزخارف الرخامية و الفسيفساء البديعة ، ومنها حمام بشتاك ، حمام قلاوون ، و حمام السلطان ، حمام الملاطيلي و حمام الطمبلي ....الخ .

(شكل-١٩) سقف حمام الدرب الأحمر – شارع الدرب الأحمر – حارة الروم - القاهرة . يظهر منها مدي الإهمال الذي يعاني منه الحمام إلى درجة تهدم بعض أجزاءه كالقبة الرئيسية للحمام . المصدر : عن الباحث .

يرجع التدهور في حالة الحمامات الشعبية في مصر للأسباب التالية :

- تغيير نظرة المجتمع لهذه الحمامات .
- ظهور بعض المشروعات الاخري كالنوادي الصحية و الصالات الرياضية .
- نظرا للتبدل والتطور الذي طرأ على حياتنا الاجتماعية .

لذا يجب ان تبذل الجهات المختصة جهدا كبيرا حتي تسترجع هذه الحمامات الشعبية في مصر مكانتها و تعود الي دورها في تنمية المجتمع وذلك عن طريق :

- إعادة تشغيل هذه الحمامات القديمة و ترميمها و إعادتها إلي حالتها الأصلية .
- تبني الفكر القديمة لهذه الحمامات و إعادة صياغته بصورة عصرية من خلال مباني جديدة تعمل بنفس الفكر القديم و لكن بأساليب حديثة .
- الاهتمام بالمهن القديمة المتعلقة بالحمام الشعبي و إعادة إحياءها من خلال عمالة مدربة و متخصصة .
- معالجة فكر المجتمع و تغيير نظرته الي هذه الحمامات و تعظيم دورها الصحي و مدي أهميتها .
- تنظيم رحلات للسائحين يتم من خلالها المرور بتجربة الحمام الشعبي و تجربته بشكل عملي .
- الرقابة الصحية الشديدة علي هذه المنشآت لضمان سلامتها و موافقتها للاشتراطات الصحية و السياحية .
- انشاء جمعية متخصصة تعمل علي الاهتمام بالحمامات الشعبية .

٣- العناصر الاساسية المكونة للحمامات الشعبية :-

٣- ١ جزء المسلخ (صالات الخلع و الاستراحة و حجرة المراقب) :-

ويتألف من أيوانات لا يزيد عددها عن أربعة أيوانات ، إضافة إلى "الفسقية"التي يتدفق منها الماء البارد - ويفضل المستحمون أيام الحر خلع ثيابهم في المسلخ ، أما في الشتاء فينزعوها في" البيت الأول" . ويطلق تسمية "البيت الأول" علي هذه الحجرة لأنها أولى الحجرات الحرارية و لكنها اقل حرارة من الحجرة الرئيسية وهي تشكل حجرة الانتظار، و يتألف عادة من مصطبتين ترتفع أحداهما عن الأخرى مكسوتين إما بالرخام أو البلاط .

٣.. ٢ جزء الحمام (صالات البخار و المغاطس الدافئة):-

ويتمثل في الحجرة الداخلية الأساسية في تكوين الحمام ويطلق عليها اسم "الحرارة" وتضم أربعة أيونات منخفضة موضوعة في شكل تقاطعي و في وسطها "فسقية"ماء ساخن ، وترتبط" بالحرارة" مجموعة من الغرف تتمثل في:

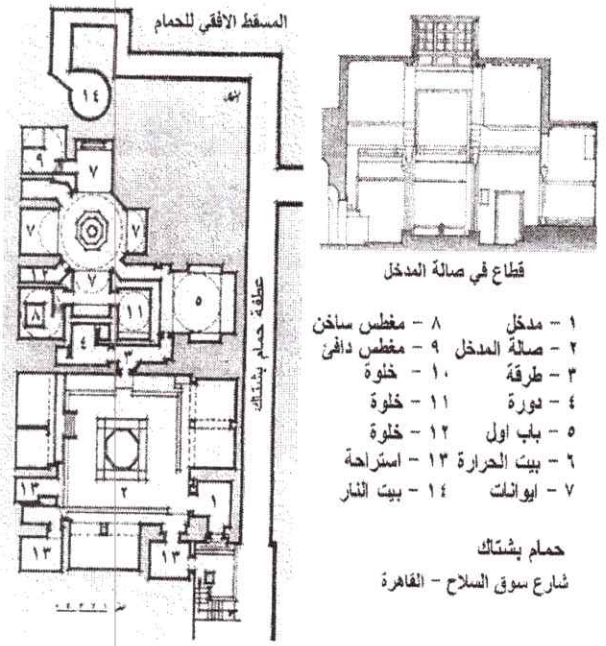

(شكل-٢٠) مسقط أفقي لحمام بشتاك وقطاع في صالة المدخل .

المصدر : احمد مصطفي عنان – الحمامات الشعبية في المدينة العربية- مجلة عالم البناء عدد ٤٩ سبتمبر ١٩٨٤م .

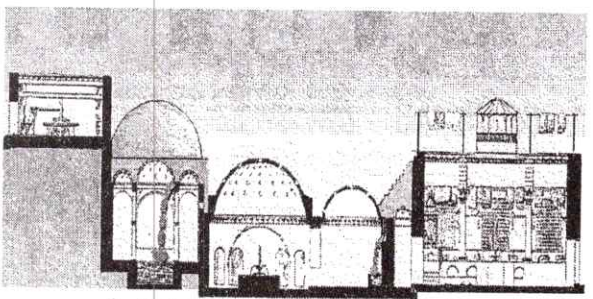

(شكل-٢١)تغذية المغطس بالماء المتدفق من قبة الغرفة بالحمامات الشعبية القديمة.

المصدر : (Pascal Coste) Architecture Arabe Monuments du Caire.Paris,1839

١- "مغطس" من الماء الدافئ يسبقه مرتقي من ٤ درجات ، ويمكن أن تتعدد المغاطس في الحمام الواحد مع اختلاف سعتها ، ويتم ملئ كل مغطس بالماء المتدفق من قبة الغرفة .

٢- "حنفية" وهي خلوة تحتوي علي صنبورين للمياه منبثقين من الجدار و مخصصتين للماء الساخن و البارد بالإضافة إلى حوض صغير أدناه و مقعد أمامه ، و يمكن أن يصل" بالحرارة" اكثر من "حنفية".

وتكسو القباب وسط "الحرارة"و ايواناتها و الغرف الصغيرة المرتبطة بها و تحتوي هذه القباب علي فتحات زجاجية صغيرة .

٣- ٣ جزء التسخين (المستوقد و بيت النار) و الخزانات :-
وهو جهاز التسخين للمياه ، و يقع بالقرب من خزانات الماء البارد وهي تكون مجموعة كثيفة يكملها الموقد " المحمي أو الجورة " التي كانت تلتهم كل فضلات الحي تحت الغلايات .

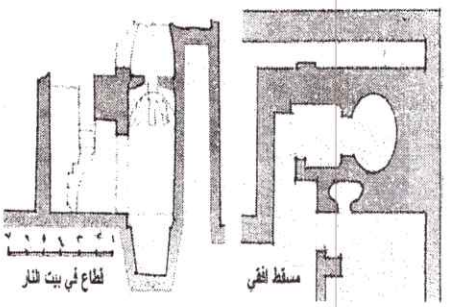

(شكل-٢٢) مسقط أفقي و قطاع في بيت النار (الجورة) بالحمامات الشعبية القديمة.
المصدر: عاطف فهيم – الحمامات الشعبية في مصر -١٩٧٥م.

الأجزاء الرئيسية للحمام الشعبي :

١- المنطقة الباردة : المدخل ومنطقة تغيير الملابسA+B

٢- منطقة الاستحمام الساخن : الغرفة الدافئة و الغرفة الساخنة D+D1+D2+D3+C+C1 .

٣- منطقة التسخين : الفرن و مخزن المياه و المخازن . E+E1+F+F1

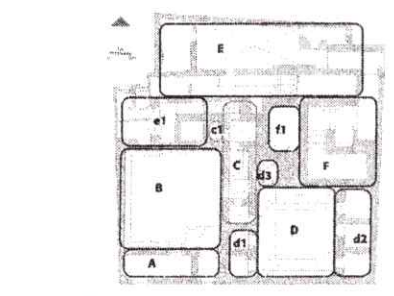

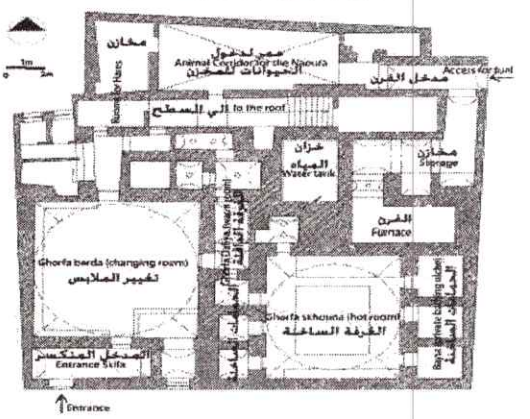

(شكل-٢٣) حمام درغيت الشعبي بطرابلس بليبيا – و يظهر من تحليلة الاقسام الرئيسية التي تتكون منها الحمامات الشعبية . المصدر:

Magda Sibley and Fodil - THE SURVIVING HISTORIC HAMMĀMS OF THE MEDINA OF TRIPOLI - LIBYA: TANGIBLE AND INTANGIBLE DIMENSIONS-- - International Journal of Architectural Research - SPECIAL ISSUE ON TRADITIONAL PUBLIC BATHS-HAMMĀMS-IN THE MEDITERRANEAN – Volume (2) - Issue (3) - November 2008

٤- انواع الحمامات العامة في العمارة الاسلامية :- من الناحية المعمارية يمكن تقسيم الحمامات العامة الإسلامية إلى نوعان أساسيان :-

٤- ١ النوع الأول : يتميز بمسقط أفقي مركزي يوجد في مركزة غرفة مثمنة Tepidarium منقولة عن الحمام البيزنطي التقليدي .

٤-٢ النوع الثاني : يتميز بمسقط أفقي شريطي يضم مجموعة من الغرف المستطيلة المتتالية ، ولقد استخدم النموذج الثاني في القرن ١٢ الميلادي و خاصة في بعض النماذج الأموية ثم بدأ يهجر إلى النموذج المركزي) (١٢).

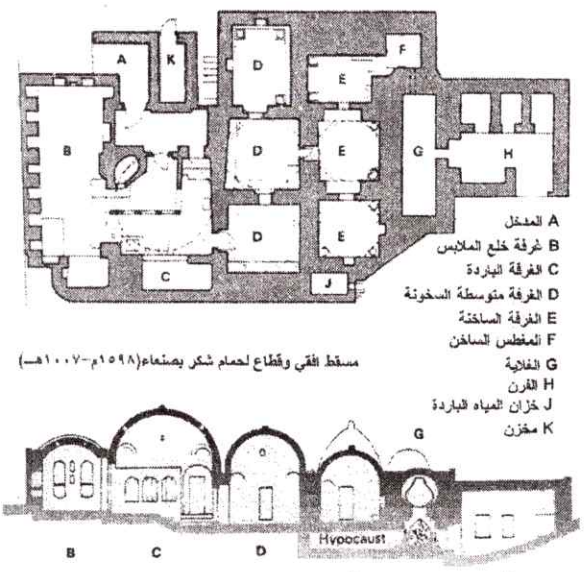

(شكل-٢٤) مسقط أفقي و قطاع لحمام شكر بصنعاء باليمن ١٥٩٨ م . المصدر : احمد مصطفي عنان – الحمامات الشعبية في المدينة العربية- عدد ٤٩ - ١٩٨٤م.

٥- دور الحمامات العامة في عملية التنمية :-

٥-١ الحمامات العامة و الصحة العامة للمجتمع : -

لعب الحمام دورا صحيا في العمارة الإسلامية نظرا لحث الإسلام علي النظافة و الطهارة ولعدم وجود حمامات داخل اغلب البيوت ، و عدم وجود شبكة أنابيب توصل المياه الي البيوت فنتج عن ذلك أن أصبح الحمام مؤسسة صحية في المجتمع. وفي دراسة تمت علي مرضي الشريان التاجي المستقر تبين بأنّ ١٥ دقيقة في حمام حار أنتجت إجهاد اقل لدوران الدم مقارنة مع ١٥ دقيقة على دراجة ثابتة . كما وجدت دراسة أخرى اجريت على ٢١ شخص مصابين بارتفاع ضغط

الدم بأن الحمام الساخن ساهم في خفض ضغط الدم، دون الاقتراب من مستويات خطرة. كما ان لمياه الحمامات الكبريتية ذات الحرارة العالية دور في تنشيط الدور الدموية والجهاز التنفسي وفي كثير من حالات

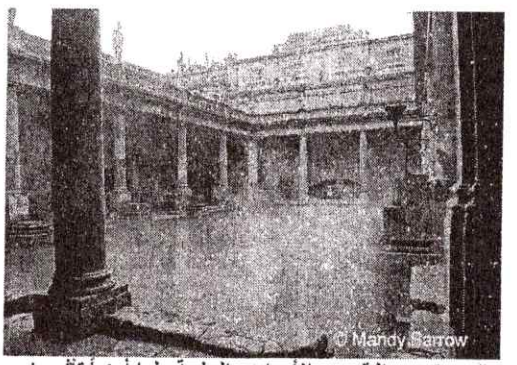

الروماتيزم والنقرس والأمراض الجلدية ولها أيضاً تأثير غير مباشر في علاج الاضطرابات المعدية واحتقان الكبد وغيرها.

(شكل-٢٥)حوض المياه الساخنة بحمام باث بانجلترا ، و يظهر البخار المتصاعد نتيجة ارتفاع درجة حرارة المياه . المصدر :
http://www.woodlands-junior.kent.sch.uk/Homework/romans/baths.htm

كما أكد خبراء مختصون أن الحمامات التركية تساعد في تنشيط الجسم وتجديد شباب الجلد وحيويته والمحافظة على صحته وسلامته ونضارته ، فقد وجد الباحثون أن هذا النوع من الحمامات الذي انتشر عبر التاريخ، كطريقة للاستحمام يعتبر وسيلة لتنظيف الجسم بعمق ، بل وينشط الجلد ويعيد للبشرة تألقها ، ويتضمن هذا الحمام عدد من الخطوات كالتبخير، أي التعرض لبخار الماء بهدف فتح مسامات الجلد وتقشير الجلد الميت بليفة استحمام خاصة ثم تدليك الجسم لتحسين الدورة الدموية في الطبقة الخارجية من بشرة الجلد وهو ما يساعد في التخلص من الأوساخ والشوائب ، وأوضح الخبراء أن الجلد يحتاج أن يتنفس أيضا فهو يمتص الرطوبة ويطرح الفضلات فإذا ما انسدت المسامات، فإن السموم ستتراكم داخل الجسم لذا فان التخلص من مثل هذه السموم هو ما يعيد للبشرة تألقها ولمعانها الطبيعي ويجعلها أكثر شبابا لمدة أطول كما يساعد في تخفيف بعض الحالات المرضية بدءا من الكآبة وحتى التهاب المفاصل وقد تطور الحمام التركي وأدخلت عليه بعض التعديلات الحديثة كالانتظار في غرفة ساونا وبخار خاصة بحيث يتم فتح مسامات الجلد، ثم يستلقي الشخص على طاولة مسطحة من الرخام للخضوع لعملية تقشير الجلد الميت وتسمى التكييس لأنها تجرى بواسطة كيس خاص مصنوع من ألياف طبيعية ، و هذه الطريقة موجودة في المغرب وتركيا ومصر وسوريا (١٧) ، حيث أن الأبخرة الساخنة في الحمام الشعبي تعمل علي تفتيح المسام و فقد كمية من العرق المحمل بالحديد من الأملاح و المواد الضارة بالجسم (كالبولينا) مما يعمل علي تجديد حيوية و نشاط الجسم و يفيد في تحسين سريان الدورة الدموية بجسم الإنسان . ولأهمية هذه الحمامات ودورها في المجتمع قديما فقد خضعت لرقابة شديدة من المحتسب أو صاحب الشرطة أو الولي شخصياً، فقد حرص المحتسبون على مداومة التفتيش والرقابة على الحمامات العامة ضماناً لنظافتها التامة وإتباع القواعد الصحية بها ومراعاة الآداب العامة والقواعد الأخلاقية ، كما كان يمنع الأبرص والمجذوم من دخول الحمام لمنع انتشار العدوى والمرض.

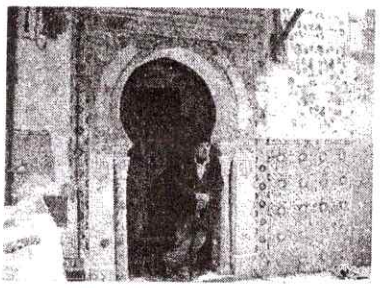

(شكل-٢٦)مدخل احد الحمامات الشعبية بالجزائر . المصدر
Asma Bersali
: - Le hammam en Algérie, une histoire, une tradition, un repère en voie de disparition - El Watan du 31/12/2008

٥-٢ الحمامات العامة و التنمية الثقافية : -

لعبت الحمامات العامة دورا هاما و كبيرا في ثقافة العديد من المجتمعات حيث كانت بمثابة الملجأ الذي يتجهون له للحصول علي الراحة وتجديد الصحة و تنشيط الجسم و تصفية الذهن ففي بلاد المغرب مازالت بعض العائلات إلي الآن تمضي عطلتهم الأسبوعية في " الحمام" ، و هذا " المفهوم " يختلف و يتراوح بين فئة اجتماعية و أخري ، فهناك الفقير الذي يذهب إلي حمام السوق لأنه لا يملك حماما خاصا في بيته و هناك متوسط الحال الذي يمضي الي الحمام للحصول علي مزيد من النظافة عبر التدليك و درجة الحرارة و هناك من يقصد الحمام كسبيل للترفيه والاسترخاء. و نستنتج من ذلك ان ثقافة الحمام مازالت حيه في بعض المجتمعات الشرقية (كبلاد

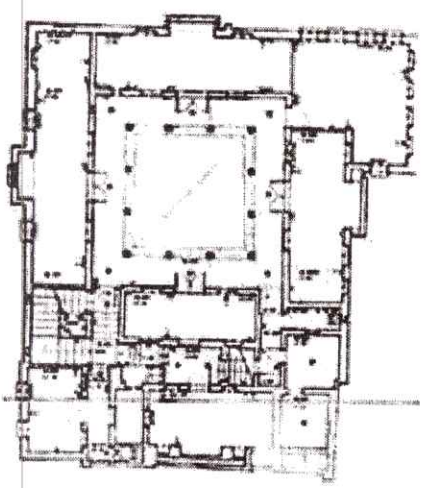

(شكل-٢٧)مسقط أفقي لأحد الحمامات العامة بالجزائر . المصدر :
Asma Bersali
: - Le hammam en Algérie, une histoire, une tradition, un repère en voie de disparition - El Watan du 31/12/2008

المغرب العربي).

3-5 الحمامات العامة و التنمية الاجتماعية : -

كانت الحمامات الرومانية بمثابة مجمعات ترفيهية للمدينة، فمعظم المدن الرومانية كانت تحتوي على حمام واحد على الأقل حيث الينابيع الساخنة الطبيعية. كما كانت الحمامات مكانا هاما يستخدم من قبل الجميع ، أغنياء أم فقراء، حر أم عبد، ولم تكن مجرد مكانا للاستحمام و التدليك فقط وإنما مبنى اجتماعي يضم قاعات للمحاضرات والمطالعة مع حدائق تحيط بالمبنى حيث يمكن لأي شخص أن يأكل ، يمارس القراءة أو التسوق، أو يجتمع بأصحابه ، أو مناقشة السياسة .

و المعنى الحديث للحمامات الرومانية هو مزيج ما بين المكتبة ، المعرض فني ، المركز التجاري ، مطعم ،نادي رياضي، ومنتجع صحي . كما كانت هذه الحمامات الرومانية تستقطب العائلات والأسر و ليس الافراد فقط ، للاستحمام بمياها الدافئة والاستمتاع بالمناظر المحيطة بها، خاصة في فصل الربيع وفي كثير من الاحيان كان الاباطرة يبنون الحمامات للحصول على مصلحة لأنفسهم ليشتهروا و لإنشاء نصب تذكاري دائم يدل على سخائهم.

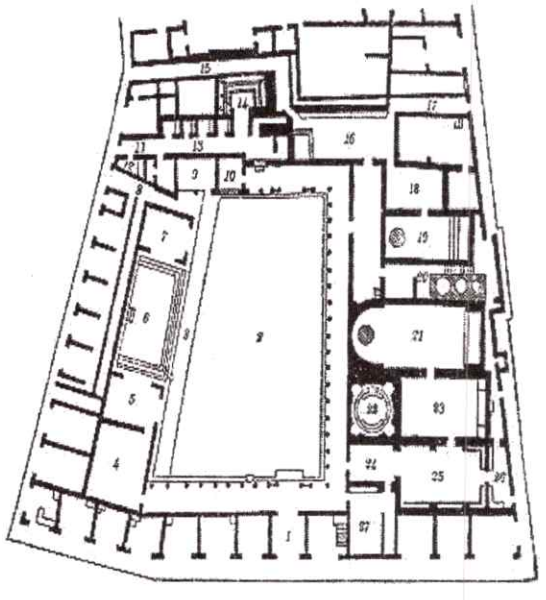

(شكل-٢٨)المسقط الافقي لحمام ستبان بيومباي . PLAN OF THE STABIAN BATHS AT POMPEII المصدر :
http://www.forumromanum.org/life/johnston_9.html#352

و كان الحمام عنصرا هاما في قصور الاغنياء من الرومان و الاغريق لا يمكن الاستغناء عنه بل وان وجود الحمام في قصورهم كان بمثابة دليل علي الثراء و المكانة الرفيعة بالمجتمع.

كما لعب الحمام دورا هاما في الحياة الاجتماعية للمجتمع الاسلامي ، دورا قد لا يقل عن الجامع و المكتبة او الوكالة او السوق ، حيث اصبح مكانا لتوطيد العلاقات الاجتماعية و الصحة البدنية و التطهير و الاسترخاء .

حتي ان مدينة دمشق ضمت ٥٢ حماما عاما في القرن الثاني عشر ، و ستون حماما عام ١٩٤٣م مازال ٤١ منها يعملون حتي الان (١٢).

و كانت الحمامات الدمشقية في السابق بمثابة منارة للاحياء ، لأنها إضافة إلى دورها الصحي كانت تساهم في حل جميع مشاكل أهل الحي، حيث يجتمع فيها الوجهاء لينظروا في جميع القضايا المتعلقة بأبناء الحي، كما أنها شكلت مكانا جيدا لعقد الصفقات بين تجار دمشق ، بل و كانت حمامات دمشق أشبه بنوادٍ رياضية، وبعضها كان يشتمل على ملعب، وقاعات اجتماعية، ومكتبة للمطالعة، وكانت محاطة ببساتين مزهرة، وثمة مثل شعبي قديم يقول «نعيم الدنيا الحمام». و كانوا يقيمون في ساحات الحمامات البحيرات الكبيرة التي تتشامخ فيها نوافير المياه و تقام الاحتفالات و المناسبات . والحمامات الدمشقية قديمة العهد انتشرت منذ العهد الروماني، حيث قام بعض الأباطرة بإقامة عدد من الحمامات الدمشقية العامة.

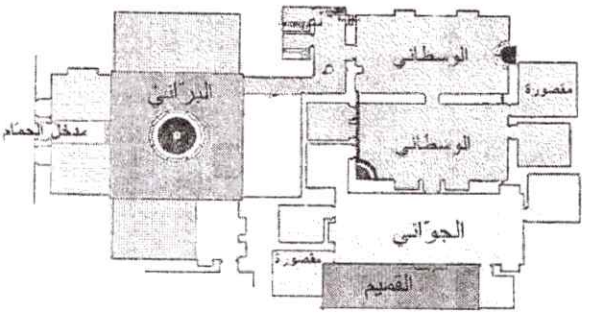

(شكل-٢٩) رسم كروكي لإيضاح المناطق المختلفة للحمام الدمشقي القديم - حمام يلبغا الناصري و هو من أهم حمامات سورية . المصدر :
http://www.discover-syria.com/results/114

القسم البراني : يتألف من أربعة إيوانات معقودة وفي كل إيوان مصطبة وفجوات قوسية لوضع الملابس، ويتوسط هذا القسم حوض ماء مثمن الشكل في وسطه نافورة ويعلو القسم البراني قبة تستند إلى أكتاف قناطر الإيوانات بواسطة زوايا مثلثية كروية وقطعت القبة من الأعلى لتشكل منفذاً للنور منور مثمن الشكل إلى جانب ثماني نوافير مستطيلة أخرى وقد زينت القبة بزخارف نباتية مدهونة باللونين الأحمر والأزرق وفي الجهة الشرقية من القسم البراني مدخل يؤدي بواسطة ممر منكسر إلى القسمين الأوسط والداخلي الدافئ والساخن وكل قسم مؤلف من قاعات رئيسية تحيط بكل منها أربعة إيوانات بها غرف صغيرة وفي كل منها جرن حجري ويعلو القسم الرئيسي في كل منها قبة فيها منافذ دائرية الشكل مغطاة بقطع الزجاج الملون القمريات ومنها فتحات لتصاعد البخار، وأرضية القسم الداخلي الساخن مبلطة بأحجار صغيرة متناوبة باللونين الأسود والأصفر بأساليب هندسية متداخلة بديعة التناسق كما يضم الحمّام غرف مستودع للمياه وموقداً للتسخين.

القسم الوسطاني: و يحوي ست خلوات في حين الجواني يحتوي على بيت النار وهو أكثر أقسام الحمّام حرارة وفي وسطه قبة واسعة مثمنة الأضلاع .

القسم الجواني: وتحيط به ثلاثة إيوانات وخلوتان احداها خلوة للبخار وفيه بئر كان يسخن بالبخار من تحت أسفل أرضيته كما يتوضع بيت النار أسفل الجواني .

(شكل-٣٠) حمام يلبغا الناصري و هو من أهم حمامات سورية و تظهر القبة التي تلعو المغطس بالحمام – المصدر :
http://esyria.sy/ealeppo/index.php?p=stories&category=todayimg&filename=200806291630024

و كان ارتياد النساء للحمام يشكل جانباً من الصلة الاجتماعية ، وقضاء ساعات من البهجة والتعارف وقص السير وتناول الأطعمة بل الخطبة أيضاً (18) ، كما أنهن قد يحيين تقاليد موروثة كحفلات الأعراس وجلوة العروس في الحمام، وكان لهن مناسبات خاصة للاستحمام منها حمام الغمرة وهو بعد العرس بأسبوعين، وحمام الفسخ (النفاس) ، وكذلك حمام الأربعين ، وهو بعد أربعين يوماً من الولادة.

وفي مصر كان الحمام الشعبي بمثابة مؤسسة اجتماعية تلعب دورها : حيث كان الحمام مفتوحا لكل الناس بغض النظر عن طبقتهم الاجتماعية ، و كان التقسيم الوحيد المتبع فيه هو تقسيم بحسب الجنس ، فقد كانت تخصص ايام للرجال و أيام أخري للنساء خاصة بالنسبة للحمامات الصغيرة ، اما بعض الحمامات الكبيرة فقد كانت توفر اقسام خاصة للرجال و اخري للنساء علي مدار اليوم (18) ، فالقاهرة كان يوجد بها حوالي الألف حمام في يوم ما، بينما اليوم يعد فيها اقل من خمسين حماما اغلبها في حالة سيئة للغاية و متهدمة. و يؤكد فهمي عبد العليم رئيس قطاع الآثار الاسلامية : انه كان للحمامات شأن كبير في حياة سكان القاهرة خلال القرن التاسع عشر و اوائل القرن العشرين، حيث كانت اشبه بالاندية التي يلتقي فيها الاصدقاء لتبادل الحديث وعقد الصفقات التجارية ، بينما كانت وسيلة النساء للخروج من المنزل في زمان لم يكن مسموحا لهن بالخروج الا للضرورة القصوي (19) . ويذكر المقريزي ان الحمام الشعبي كان يمثل "منتدى" يقضي فيه الأصدقاء وقتاً طيباً سواء للرجال أو النساء، كما كان يمثل عنصراً رئيسياً في تقاليد الزواج والختان ويتساوى في ذلك الفقراء والأغنياء ،

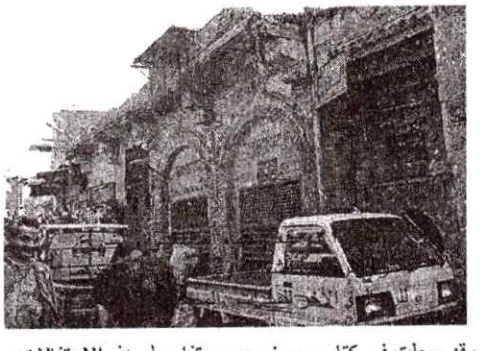

وقد سجلت في كتاب وصف مصر تفاصيل هذه الاحتفالات.

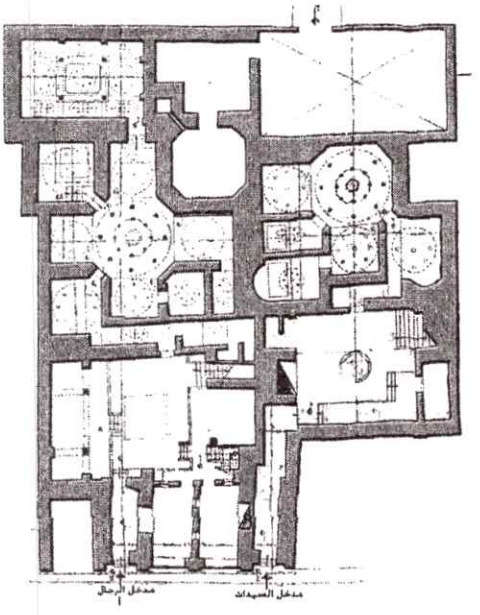

(شكل-٣٢) المسقط الافقي لحمام الملاطيلي – و يظهر تخصيص جزء من الحمام لاستخدام السيدات و جزء اخر للرجال و وجود مدخلين للحمام . المصدر : عاصم محمد رزق – اطلس العمارة الاسلامية و القبطية بالقاهرة – مكتبة مدبولي – ٢٠٠٤ .

4-5الحمامات العامة و التنمية الاقتصادية :-

مشروعات الحمامات العامة في بلاد المغرب العربي هي مشروعات ذات عائد اقتصادي مجدي لدي هذه المجتمعات، و يقوم علي تشغيل هذه الحمامات- بوجه عام- الاسر التي تملكها فرب الاسره و ابناءه يعملون علي خدمة الرجال و السيدة و بناتها تقمن علي خدمة النساء ، و هذه المهنه تتوارثها الاجيال المتعاقبة داخل الاسرة حتي ان بعض الاسر اشتهرت بهذه المهنة و اصبحت مرتبطة بتاريخها ، و تعمل الحمامات علي مدار ٢٤ ساعة علي النحو التالي :-

- يخصص الحمام صباحا للسيدات .
- الرجال من العصر الي ٨ مساءا .
- في المساء يعمل الحمام كمكان زهيد الثمن لاقامة العابرين و العمال .

و تنتشر هذه الحمامات بكافة الاحياء و المناطق بمدن المغرب العربي حتي ان الجزائر العاصمة يوجد بها ما يفوق ٤٨٠ حماما موزعه علي جميع انحاء العاصمة (١٢) .

كما كان له دوراقتصادي كبير في تخليص المجتمع من المخلفات التي كانت تحرق لتسخين المياه التي يتم الاستحمام بها ، وكان ناتج الحرق يستعمل في عمل القصروميل الذي كان يستعمل في أعمال البناء .

٦- تجربة بعض الدول في مجال إحياء الحمامات العامة : -

في بلاد المغرب العربي (تونس – الجزائر – المغرب) مازال التمسك بعناصر المدينة القديمة من مباني ذات استعمال خاص . فالقديم منها يحسن كما تقام المباني الحديثة علي نفس النمط التقليدي . وقد اعتادت تلك الشعوب علي هذا النمط من الحياة علي مدي قرون طويلة . و فيما يلي عرض لتجربة كلا من الجمهورية التونسية **والجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية** في مجال الحفاظ و التنمية و التطوير للحمامات العامة بها المجتمعات.

٦-١ تجربة الجمهورية التونسية :-

الحمامات العامة من أهم مرافق المدينة التونسية و تتعدي اهميتها البعد المعماري إلي أن المجتمع التونسي – كان و مازال - يعتبرها احد المراكز الأساسية للحياة لديه. ويتميز الحمام العام التونسي بأنه مرفق صحي ذو سمات خاصة تمكنه من استيعاب الحضارات السابقة كما انه يمكن ان يتكيف مع الثقافات المحلية المختلفة ، لذلك عند تحليل الحمامات الشعبية في بلدان حوض البحر الأبيض المتوسط نجد أنها متقاربة الي حد كبير نتيجة ان هذه المنطقة كانت قديما مستعمرة رومانية ، غير انه مع دخول الإسلام و انتشاره ببعض هذه البلدان ، حدثت تعديلات معمارية عديدة علي هيئة الحمامات العامة نظرا لتغيير ممارسات الاستحمام لدي المسلمين، هذا بالإضافة الي ان الحمامات العامة قد أخذت مكانتها في الحضارة الإسلامية لدي هذه البلدان حيث أصبحت مؤثرة بشكل كبير شانها شان المسجد و المدرسة (٤).

الحمام	العلاقات الوظيفية	موقع الحمام من المدينة
حمام يوسف صاحب الثياب		

١- المدخل	٢- تغيير الملابس	٣- المقصورة	٤- الغرفة الباردة
٥- الغرفة الدافئة	٦- المغطس	٧- الغرفة الساخنة	٨- مراحيض

(جدول-١) دراسة عن حمام يوسف صاحب الثياب بمدينة تونس – المصدر:

Ines Bouraoui- THE ARCHITECTURE OF PUBLIC BATHS OF TUNISIA: A TYPOLOGICAL ANALYSIS - International Journal of Architectural Research - SPECIAL ISSUE ON TRADITIONAL PUBLIC BATHS-HAMMĀMS-IN THE MEDITERRANEAN – Volume (2) - Issue (3) - November 2008

وتزخر تونس بمنابع المياه المعدنية وتتوزع على كافة ولايات الجمهورية إلى جانب ذلك تفيد إحصائيات ديوان المياه المعدنية انه بلغ عدد زوار الحمامات المعدنية بالنسبة إلى سنة ٢٠٠١ مليونين و خمسة مائة ألف مستحم تونسي (٢٠)، كما بلغ حوالي ٤ ملايين تونسي عام ٢٠٠٧ . وترجع نسبة الإقبال المرتفعة إلي تأصل عادة الاستحمام ضمن عادات التونسي من القدم ، لاسيما في صفوف الكهول وكبار السن منهم الذين يتوجهون للحمامات المعدنية منذ القدم لأغراض علاجية استشفائية ترتبط خاصة ببعض الأمراض الجلدية والروماتيزم... إلخ، إضافة إلي إيمان المواطنين بالجدوى العلاجية و الوقائية للمياه المعدنية (٢١) .

٦-١-١ الحمامات المعدنية بتونس :-

تتمتع "الحمامات المعدنية" بخصائص استشفائية هامة، فهي تساهم في الاستشفاء من بعض الأمراض المنتشرة بكثرة، مثل أمراض الجهاز العصبي، وأمراض الروماتيزم، والأمراض الجلدية، بالإضافة إلى أمراض النساء، والمحافظة على الصحة والحيوية والرشاقة. ويتوافد على هذه المحطات الاستشفائية عدد كبير من السياح سنويا، بالإضافة إلى آلاف المواطنين من تونس ودول المغرب العربي.وتتميز تونس بوجود أعداد كبيرة من منابع المياه المعدنية، وخاصة في المناطق الجبلية، تقدر بـ ١٣١ منبعا ، يستغل منها أربعة في شكل مراكز استشفائية رئيسية ، موجودة في كلا من : مدن قربص ، جبل الوسط ، حمام بورقيبة وجزيرة جربة ، بالإضافة الي محطات أخري منتشرة بمختلف الولايات التونسية تصل الي ٤٢ مركزا (٢٠) .

٦-١-٢ اهتمام الحكومة التونسية بالحمامات العامة :- و من أهم مظاهر اهتمام الحكومة بهذا المجالإقامة **ديوان المياه المعدنية و الذي يخضع لإشراف وزارة الصحة** (٢٠) ، و يعمل ديوان المياه المعدنية على اتخاذ التدابير اللازمة لحماية و صيانة و تطوير الحمامات المعدنية ليجعلها تستجيب لحاجيات جميع شرائح المجتمع و بالتالي استيعابها لعدد أكبر من النزلاء .

*** و فيما يلي استعراض لنموذجين من الحمامات العامة بتونس : (حمام المشهد بولاية زغوان) :**

و نلاحظ انه تم تقسيم المبني الي قسمين متماثلين احدهما للرجال و الأخر للسيدات، مع وجود منطقة استقبال وتوزيع الي منطقة الرجال و السيدات . كما يلاحظ ان المركز الاستشفائي يتبني الفكر القديم للحمام الشعبي و لكن في صورة مبني حديث مطور و مجهز بأحدث التقنيات .

(شكل-٣٣) المسقط الأفقي لحمام المشهد بولاية زغوان
. المصدر : ديوان المياه المعدنية التونسي - وزارة الصحة العمومية بتونس – ٢٠٠٨م

حمام الزريبة
Hammam el Zariba : بولاية زغوان

ونستنتج من المسقط الأفقي ما يلي :-

١ - اعتمد المركز الاستشفائي علي نظام الفصل المكاني في الاستخدام من حيث تخصيص جزء من المركز لاستخدام الرجال وتخصيص جزء آخر للسيدات – بغض النظر عن تساوي الجزئيين من عدمه – و بذلك فان المركز يعمل علي استضافة الجنسين في ذات الوقته و **(شكل-٣٤)المسقط الأفقي لحمام الزريبة بولاية زغوان . المصدر : ديوان المياه المعدنية التونسي - وزارة الصحة العمومية بتونس – ٢٠٠٨م.**

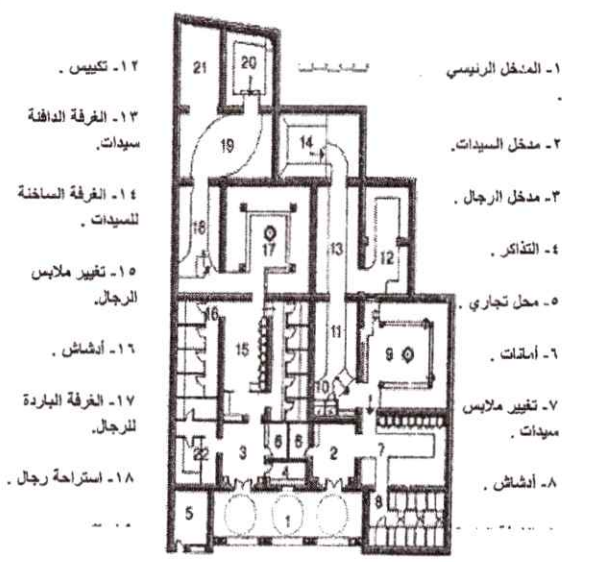

بذلك يمكن أن يغطي عدد اكبر من المستخدمين.

٢- عدم الاعتماد علي التهوية الخارجية حيث لا توجد فتحات بالفراغات المختلفة علي الخارج ، بل إن الواجهة الخارجية تتمثل في بابين رئيسيين احدهما للسيدات و الآخر للرجال و شباك التذاكر .

٦-٢ تجربة الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية :-

تحتل الحمامات المعدنية في الجزائر مكانة هامة لدى العديد من سكان الجزائر، ويؤكد هذا ما تشهده هذه الحمامات من تدفق عليها طوال فترات السنة ، كما أنها تحتل المكانة الأولى في ترتيب اختيارات جل العائلات الجزائرية عندما يتعلق الأمر باختيار أماكن المصيف ، ولم تتراجع أهميتها وشهرتها لدى المصطافين الذين يجدون فيها مزيجا بين متعة الاستجمام والاستحمام والاستشفاء (٢٢). أما بالنسبة للحمامات المعدنية ، فيوجد في الجزائر أكثر من ٢٢٠ حمام معدني و هي مجهزة بمختلف وسائل الراحة من قاعة للألعاب مطاعم فنادق شقق للزائرين ، و مساحات خضراء و العاب للأطفال ، و قاعات للتدليك ، و ما إلي ذلك من الخدمات الاخري (٢٢).

٦-٢-١ حمام شعبي بمدينة الأصنام (١٢) :-

*** روعي في هذا المشروع الاعتبارات التالية :**

١. الحفاظ علي النمط التقليدي للحمامات الشعبية في الجزائر مع تطويرها باستخدام وسائل البناء و التسخين الحديثة .
٢. إن التوجيه لا يشكل أي أهمية في تصميم الحمامات حيث أن اغلب عناصرها لا تحتاج إلي الإضاءة المباشرة أو التهوية .
٣. الاهتمام بصفة خاصة بالتأكيد علي اختلاف العناصر المتعددة من حيث الوظيفة و تأثير ذلك علي اختلاف الكتل وإظهار ذلك في معالجة المبني .

*** يتكون المبني من ثلاث عناصر رئيسية :**

١. وحدة الادشاش : و تخدم ٤٠ شخصا في الساعة و تحتوي علي صالة انتظار تسع ٢٠ شخصا و ملحق بها وحدة دورات المياه ، و صالة الادشاش وهي متصلة بصالة الانتظار و تحتوي علي ١٤ دوشا مخصص في كل منها جزء لخلع الملابس .
٢. وحدة الحمام : و تعتبر العنصر الرئيسي في المبني و يقوم بخدمة حوالي ٦٠ شخص في الساعة و يتكون من جزئيين رئيسيين ، جزء الاستراحة و يتكون من منسوبين يتوسطهم فناء مغطي بارتفاع دورين يتوسط هذا الفناء فسقية . أما الجزء الثاني من الحمام فهو صالة البخار المتعددة الدرجات ، وهي الصالة الباردة ، صالة البخار ذات الحرارة المتوسطة ، صالة البخار ذات الحرارة المرتفعة ، و ملحق بصالتي البخار خلوات خاصة تؤجر للعائلات .
٣. وحدة الخدمات العامة : و تضم وحدة الغلايات و خزانات و حجرة التدفئة المركزية و جزء المغسلة و وحدة خلع الملابس و دورة المياه .

* كما تم إدخال أساليب حديثة في تصميم صالات البخار :- حيث اتبعت الحمامات الحديثة نفس الأسلوب الذي كان متبعا في الحمامات الرومانية القديمة و التي عرفت بالحمامات المعلقة و لكن بأسلوب مطور و ذلك باستخدام وحدات مجهزة مخصصة لهذا النوع من المباني . حيث يتم تسخين أرضيات صالة الحمام عن طريق دفع الهواء الساخن الناتج عن تسخين الغلايات في ممرات زجاجية أسفل الصالة ، و يتم التحكم في درجة حرارة الأرضية عن طريق التحكم في سرعة مرور الهواء الساخن.

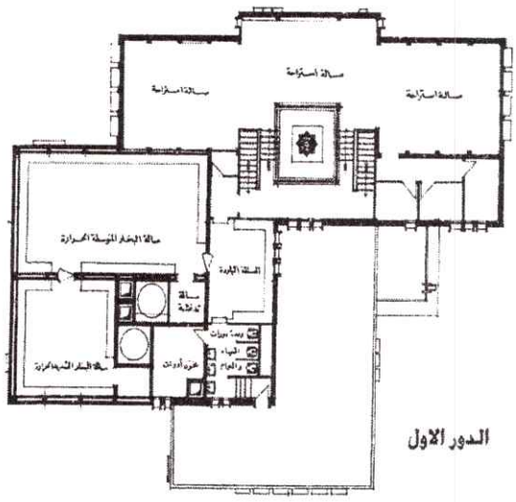

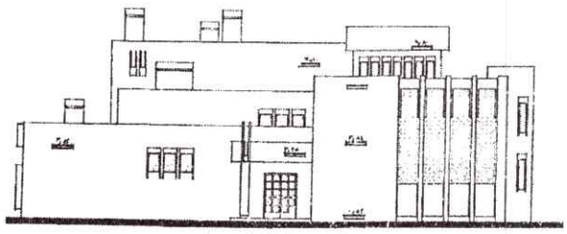

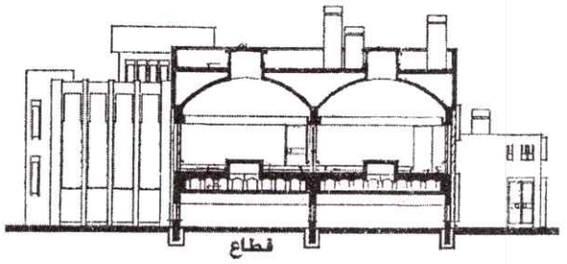

(شكل-٣٥)المسقط الأفقي للدور الأرضي و الأول لحمام شعبي و الواجهة الرئيسية و قطاع يوضح الارتفاعات لحمام شعبي بمدينة الأصنام بالجزائر المصدر: احمد مصطفي عنان – الحمامات الشعبية في المدينة العربية – مجلة عالم البناء – العدد٤٩- سبتمبر ١٩٨٤م .

النتائج:

١. اتخذت الحمامات العامة (الحمامات الشعبية) مكانة متميزة في مختلف الحضارات ، غير أن كل حضارة كانت تضع تعديلات في تصميم هذه الحمامات بما يتناسب مع ظروفها و عاداتها ومعتقداتها كما كانت تختلف في المقياس من حضارة إلي أخري – ففي الحضارة الرومانية مثلا كانت تصل إلي مقياس مدن كاملة و في الحضارة الإسلامية كانت متداخلة في النسيج العمراني للمدينة بل و كانت تنتشر بالأحياء السكنية – إلي أن وصل تطوير هذه الحمامات إلي الشكل الحديث الذي هي عليه الآن في هيئة منتجعات استشفائية أو مراكز استشفائية .

٢. تشغل الحمامات العامة مساحة كبيرة في الجانب الثقافي للعديد من المجتمعات بل انها تعتبر جزء لا يتجزأ من ثقافة هذه المجتمعات فهي تعتبر الملجأ و الملاذ للحصول علي الراحة و النظافة و الاستجمام و الخلاص من ضغوط الحياة وذلك علي كافة مستويات هذه المجتمعات دون تفرقه .

٣. احتلت الحمامات العامة مكانة كبيرا في الحياة الاجتماعية للعديد من المجتمعات و علي مدار العصور المختلفة والحضارات المتعاقبة ، فقد ازدهرت الحمامات في العصر الروماني و لم تقتصر علي كونها مكانا للاستحمام فقط بل كانت مبنى اجتماعي يضم قاعات للمحاضرات والمطالعة مع حدائق تحيط به ، كما كان للحمام دور كبير في الحياه الاجتماعية في الحضارة الاسلامية و اصبح مكانا لتوطيد العلاقات الاجتماعية و الصحة البدنية و الاسترخاء.

٤. يعد الدور الصحي للحمامات العامة من اهم ادواره الفعالة في المجتمعات فهو يعيد للبشرة تألقها ولمعانها الطبيعي ويجعلها أكثر شبابا لمدة أطول كما يساعد في تخفيف بعض الحالات المرضية بدءا من الكآبة وحتى التهاب المفاصل و يخلص الجسم من العديد من السموم و المواد الضارة به ، وهذا الدور لا تعوضه السونا و حمامات البخار التي انتشرت حاليا بشكل كبير ، حيث ان دورة الاستحمام بالحمام العامة لها دورها الصحي في تعاقب أدوارها و الانتقال ما بين الفراغات المختلفة ذات درجات الحرارة المتدرجة مما يعطي اثر استشفائي و علاجي من إتمامها وهو ما لا يوجد بأغلب الطرق الحديثة بالنوادي الصحية حاليا.

٥. إن تدهور حال الحمامات العامة في العديد من الأقطار العربية هو نتيجة تغيير وجهة نظرة المجتمع تجاه هذه المشروعات ، و تعلق أفكار المجتمع بكونها مكان لتفشي الأمراض أو مخالفة الآداب العالمة ، و هو ما يجب تصحيحه و تغيره من أذهان المجتمع حتى تستعيد هذه المشروعات مكانتها و تقوم بدورها.

٦. أن احتفاظ المجتمع التونسي بموروثة الحضاري و الثقافي و العمل علي تنميته كان هو السبب الرئيسي وراء محافظة مشروعات الحمامات العامة - بكافة أشكالها – علي مكانتها (حيث تأصلت عادة الاستحمام ضمن عادات التونسي منذ القدم) و ارتبط أفراد المجتمع بزيارة تلك الحمامات و ارتيادها بشكل منتظم و أصبحت جزءا لا يتجزأ من ثقافة المجتمع و عاداته و تقاليده بغض النظر عن المستوي الاجتماعي أو الثقافي أو المادي لأفراده –

سواء كبار أم صغار – و ذلك بالرغم من تعاقب العديد من الحضارات المختلفة علي المجتمع التونسي .

٧. تختلف الحمامات العامة بالجزائر عن تلك الموجودة بمصر حيث أن الحمامات الجزائرية تتميز ببرامج معمارية مختلفة ، حيث أن الحمام بالجزائر يشمل عناصر خاصة بإقامة النزلاء - شاليهات أو غرف فندقية أو غيرها من أشكال وحدات الإقامة - إلي جانب احتواء هذه الحمامات علي قاعات اجتماعية و مكتبات و مطاعم و ملاعب وأماكن للتنزه ، أي أن الحمامات الجزائرية اقرب ما تكون إلي كونها منتجعات استشفائية متكاملة ، وهذا التطور الملحوظ في البرامج المعمارية لتلك الحمامات كان الدافع القوي إلي إقبال الجمهور و الزائرين من المرضي وذويهم و الأصحاء القادمين للاستمتاع و الاسترخاء و الناقهين ، حيث أن الحمامات تغطي شريحة كبيرة و تلبي العديد من الاحتياجات المختلفة لزائريها .

٨. إن الشعب الجزائري لم يتخلي عن عادة الاستحمام رغم التغييرات الاجتماعية و الثقافية التي طرأت عليه و ما ساعده في ذلك : هو التطور الذي طرأ علي الحمامات العامة مما جعلها متماشية مع روح العصر و الاحتياجات الجديدة للمجتمع و بالتالي استمرت تلك العادة في المجتمع الجزائري و لم تندثر بل إنها ازدهرت .

٩. يتم استخدام الأساليب الحديثة في تشغيل الحمامات الجزائرية كما يتم تصميميها بشكل اقتصادي .

١٠. ان من اهم اسباب نجاح مشروعات الحمامات العامة بالمجتمع الجزائري انها مشروعات ذات عائد اقتصادي مستمر و غير منقطع فهي تستغل علي مدار اليوم باكمله كما ذكرنا و كما انها مستغله علي مدار العام و لا ترتبط بموسم معين ، لذا فان عائدها المادي كبير و تعتبر من المشروعات المربحة و الناجحة بالجزائر مما ادي الي انتشارها الي جانب الضغط المتزايد عليها من قبل افراد المجتمع .

التوصيات:

١- الاهتمام بما بقي من مشروعات الحمامات التاريخية و المتمثلة في الحمامات الرومانية و الحمامات الشعبية العامة في العصور الاسلامية و ذلك علي الوجه التالي :-

- التنقيب و البحث عن العديد من الحمامات الرومانية التي اشتهرت في الماضي في مصر في العديد من المناطق كالفيوم و الاسكندرية - لكنها اندثرت - وضرورة تحويلها الي مزارات سياحية بعد ترميمها .
- الحمامات العامة الصالح للاستخدام يتم اتمام الترميمات و الاصلاحات اللازمه لها بحيث يمكن ان تستقبل السائحين وتعمل بشكل لائق .
- تحويل بعض من الحمامات العامة غير القابلة للاستخدام الي مزارات سياحية يتم من خلال الوقوف علي اهمية هذه الحمامات و الدور الذي كانت و مازالت تلعبه في المجتمع .
- ما يعمل من هذه الحمامات يجب ان يخضع للرقابة الصحية و السياحية بشكل دوري .

٢- العمل علي ايقاف مصادر التلوث بمنطقة حلوان و نقلها خارج المنطقة و اعادة حلوان الي سابق عهدها كمشفي عالمي من اشهر المشافي علي مستوي العالم في وقت من الاوقات .

٣- العمل علي احياء فكرة الحمامات العامة القديمة و لكن في صورة مشروعات مبسطة و حديثة ، تتبني فكر الحمام القديم مع استخدام التقنيات الحديثة في التسخين و الصيانه و الامداد بالمياه ، بحيث تكون سهلة التنفيذ و معتدلة التكلفة و بالتالي يعمل ذلك علي انشارها ، اضافة الي الانخفاض النسبي في اسعار زيارتها – أي لا تكون في مستوي اسعار النوادي الصحية الحديثة الباهظة و التي تعتبرها المجتمع في كثير من الاحيان من الرفاهيات – مما سيؤدي الي اقبال افراد المجتمع علي زيارتها و الاستفاده منها ، من منطلق كونها في متناول ايديهم من حيث تكلفة الزيارة ، و يمكن الاستفاده من تجربة الجزائر خاصة في هذا المجال حيث انتشر لديهم مشروعات الحمامات العامة بشكل كبير و ملحوظ اضافة الي الاقبال الشديد من الجمهور عليها .

المراجع:

١ نهاد نجيب الطرابيشي - اقتصاديات صناعة السياحة في مصر – رسالة ماجستير — جامعة القاهرة – كلية التجارة ١٩٩٥(نقلا عن د.هـ روبينسون- جغرافية السياحة – الجزء الأول – ترجمة د. محبات إمام) .

٢ الحمامات الرومانية - http://www.woodlands-junior.kent.sch.uk/Homework/romans/baths.html

٣ German Tourism Authority , Welcome to Germanys Berlin , Thormann & Goetsch , 1992.

٤ Ines Bouraoui- THE ARCHITECTURE OF PUBLIC BATHS OF TUNISIA: A TYPOLOGICAL ANALYSIS - International Journal of Architectural Research - SPECIAL ISSUE ON TRADITIONAL PUBLIC BATHS-HAMMĀMS-IN THE MEDITERRANEAN –

٥ كمال الدين سامح – العمارة في صدر الإسلام – الهيئة المصرية العامة للكتاب – ١٩٨٧ م .

٦ منتجع قديم للمياه المعدن ttp://www.discoverislamicart.org

٧ Fred Lawson , HOTEL & RESORTS ,1995.

٨ احمد الجلاد – البيئة و السياحة العلاجية – عالم الكتب – القاهرة– ٢٠٠٠م .

٩ المجلس الاعلي للآثار– تقرير عن كشفت بعثة المجلس الاعلي للآثار بمنطقة قطور بمحافظة الغربية عن منتجع علاجي يعود إلى العصر الروماني - ٢٠٠٢م .

١٠ محمد محمد الكحلاوي – آثار مصر الإسلامية في كتابات الرحالة المغاربة و الأندلسيين – الدار المصرية اللبنانية – ١٩٩٧م .

١١ محبات الشرابي – أقاليم مصر السياحية (دراسة في جغرافية السياحة) – دار الفكر العربي – ١٩٩١م .

١٢ احمد مصطفي عنان – الحمامات الشعبية ف المدينة العربية- مجلة عالم البناء عدد ٩ سبتمبر ١٩٨٤م .

١٣ حنان حسين - المنتجعات السياحية الاستشفائ
– رسالة ماجستير – هندسة القاهرة – قس
العمارة - ١٩٩٧م

١٤ الهيئة المصرية العامة للتنشيط السياحي –
مصر السياحة العلاجية – ٢٠٠٣م.

١٥ وفاء احمد عبد الله – ورقة مقدمة حول
العلاقة بين السياحة و البيئة المعاصرة (
مع الإشارة إلى الأثر السلبي للصناعة في
منطقة حلوان السياحية – كدراسة حالة) –
مؤتمر التنمية السياحية و الحفاظ علي البيئة
و استخدامات الطاقة الجديدة و المتجددة –
وزارة السياحة – القاهرة ٢٤-٢٦ إبريل
١٩٨٧م.

١٦ سهير صالح -بشتاك و السور المفقود -
مجلة عالم البناء – عدد ٤٩ - ١٩٨٤م.

١٧ الحمام التركي يجدد شباب البشرة
http://forum.ma3ali.net/t82018.h
tml

١٨ Bettina Kolb and Heidi Dumreicher - THE HAMMĀM - A LIVING CULTURAL HERITAGE- International Journal of Architectural Research - SPECIAL ISSUE ON TRADITIONAL PUBLIC BATHS-HAMMĀMS-IN THE MEDITERRANEAN – Volume (2) - Issue (3) - November 2008

١٩ كاريمان عبد الرحمن – الحمامات الشعبي
للرجال فقط – تحقيق بمجلة كنوز – العدد٥
يناير ١٩٩٦م .

٢٠ وزارة الصحة العمومية بتونس - ديوان المي
المعدن
ttp://www.thermalisme.nat.tn

٢١ ديوان المياه المعدنية بتونس
ttp://www.thermalisme.nat.tn

٢٢ الجزائر.. وجهة مهمة لسياحة الاستشفاء ف
شمال أفريقيا ttp://www.albayan.ae